

**البَيْزَرَة**، فنُ الصَّيْد بِوَاسْطَة طَيُور الصَّيْد، بِالْمَعْنَى الْأَشْمَل، وَلَيْس بِوَاسْطَة الْبَازِيّ<sup>١</sup> بالضَّرُورَة (كَمَا يَوْحِي مَعْنَى كَلْمَة **البَيْزَرَة**). كَلْمَة **البَيْزَرَة** الْعَرَبِيَّة مَشَتَّقَة مِن **بَيْزَار** مَعْرُب بَازِيَار أو **بَازِدار** الْفَارَسِيَّين، وَقَدْ فُضِّلَ عَلَى شَكْلِهَا الْآخِر **البَزْدَرَة** [مَعْرُب بازِداري الْفَارَسِيَّة]؛ اسْتُخْدِمَت لِفَظْتَا **البَازِيَّة** وَ**البَيْزَرَة** فِي مَغْرِبِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيّ فَقَط. لَا رِيب أَنَّ الْعَرَبَ قَبْلِ إِلَيْسَامِ كَانُوا يَعْرَفُونَ اسْتِخْدَامَ طَيُورِ الصَّيْد ("الْكَاسِر" وَجَمِيعُهَا "الْكَوَاسِر")، بِصَفَتِهَا حَيَوانَاتِ صَيَّادَة ("الْجَارِح" وَجَمِيعُهَا "الْجَوَارِح")، فَقَدْ وَصَفَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ فِي قَصِيدَتِه "أَيَّامُ الصَّيْد" مَسَارِحَ هَذَا النَّوْعِ مِنَ الصَّيْد بِشَكْلِ عَامٍ. مَعَ ذَلِكَ، إِنَّ **البَيْزَرَة** لَمْ تَلْقَ أَهْمَيَّةً تُذَكَّرَ إِلَّا بَعْدِ الْفَتوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْكَبِيرَى، الَّتِي أَدَّتَتْ إِلَى اخْتِلاَطِ الْعَرَبِ بِالْإِيْرَانِيَّينَ وَالرُّومِ، وَسَرَعَانَ مَا أَحْبَبَهَا الْأَمْرَاءُ الْعَرَبُ، وَجَعَلُوهَا وَسِيلَةً لِلتَّسْلِيَّةِ، تَلَبَّيَ شَغْفَهُمْ بِالْفَرْوَسِيَّةِ. جَعَلَ الْخَلَفَاءُ وَالْقَادِّيَّةُ الْمُسْلِمُونَ **البَيْزَرَة** مَؤْسَسَةً سُمِّيَّةً مِنْ يَرَأُسُهَا "أَمْرُؤُ الصَّيْد" ، وَبَعْدِ ذَلِكَ "أَمْرُؤُ شَكَار" [الْمَعْنَى الْحَرْفِيُّ لِأَمْرِيَّ الصَّيْدِ بِالْفَارَسِيَّةِ]. كَانَ الْخَلِيفَةُ الْأَمْوَيُّ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ (حَكَ: 60-64هـ) أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ شَغْفًا بِالْبَيْزَرَةِ. لَقَدْ قَدَّمَ الْمُؤْرِخُونَ، وَأَصْحَابُ التَّذَاكُرِ، وَمَدْوُنُو الأَحْدَاثِ الْعَرَبِ، كُلُّ بَحْسِ مَقْتَضَيَاتِ عَصْرِهِ وَظَرُوفِ بِلَادِهِ، مَعْلُومَاتٍ حَوْلَ الْأَسْلُوبِ الشَّائِعِ لِلْبَيْزَرَةِ، وَنَقَلُوا حَكَائِيَّاتٍ مُثِيرَةٍ عَنِ الْفَنُونِ الَّتِي مَارَسَهَا بَعْضُ الْأَمْرَاءِ الْعَرَبِ فِي هَذَا الْحَقْلِ (→ الطَّبَرِيُّ، ابْنُ الْأَثِيرِ، السِّيَوَاطِيُّ، الْمَقْرِيزِيُّ - كَاتِرْمِير<sup>٢</sup> فِي سُوَاجِه<sup>٣</sup>). الْمَعْلُومَاتُ الْقِيمَةُ عَنِ الْبَيْزَرَةِ، هِيَ تَلَكُ الَّتِي وَرَدَتْ فِي بَعْضِ الْمُؤْلِفَاتِ الْمُوسَوعِيَّةِ، الَّتِي دُوِّنَتْ بِهَدْفِ الْإِسْتِفَادَةِ مِنِ الشَّوَاهِدِ الْأَدِيَّةِ وَالْلُّغُوَيَّةِ، مُثِلُّ كِتَابِ **الْحَيَّانَ** لِلْجَاحِظِ، وَ**الْمَحْصُصَ** لِابْنِ سَيِّدِهِ، وَصَبَحَ **الْأَعْشَى** لِلْقَلْقَشَانِدِيُّ، وَمَرْوِجُ الْذَّهَبِ لِلْمَسْعُودِيِّ.

فِي الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ أَيْضًا، كَانَ لِلْبَيْزَرَةِ عُشَّاقٌ، كَمَا فِي مَشْرُقِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ. فِي عَصْرِ الْأَغَالَةِ، فِي أَفْرِيقِيَا، فَرَغَتْ خَزِينَةُ الْوَالِيِّ، الْأَمْرَيْهُ مُحَمَّدُ الثَّانِي (حَكَ: 250-261هـ) الَّذِي لَمْ يُلْقِبْ بِـ "أَبُو الْغَرَانِيقَ" عَبَّا، بِسَبِيلِ نَفَقَاتِهِ الْجَنُوَنِيَّةِ عَلَى "اللَّعْبِ" (اللَّعْبِ بِالْبَازِيِّ) (→ ابْنُ عِذَارِيِّ، ص 147-148). بَعْدِ ذَلِكَ، أَبْدَى الْحَفْصِيُّونَ شَغْفًا شَدِيدًا بِالْبَيْزَرَةِ. كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ الْأَوَّلُ، الْمَلِقُّ بِالْمُسْتَنْصِرِ (حَكَ: 647-675هـ) يَجِدُ كَالْأَمْرَاءِ السَّاسَانِيَّينَ لَذَّةً، بِإِجْلَاسِ بازِيِّ الصَّيْدِ عَلَى رَاحَةِ يَدِهِ، وَبِالتَّفَرِّجِ عَلَى مَصْيَدِ كَبِيرٍ بِالْقَرْبِ مِنْ بَنَزَرَتَ<sup>\*</sup> (→ ابْنُ حَلَدونَ، مج 2، ص 338). فِي الْقَرْنِ التَّاسِعِ الْهُجْرِيِّ، كَانَ أَحَدُ أَحْفَادِهِ عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ (حَكَ: 839-893هـ) يَحْصُصُ عَدَّاً مِنْ أَيَّامِ الْأَسْبُوعِ هَذِهِ التَّسْلِيَّةِ (→ بِرُونْشَفِيْغ<sup>٤</sup>،

<sup>1</sup> - Quatremère

<sup>2</sup> - J. Sauvaget

<sup>3</sup> - R. Brunschwig

ص 212). كان "صاحب البيازرة" في بلاط الأمويين في قرطبة رفيع المقام لدى السلطان ← ابن عذاري في ليفي بروفنسال<sup>1</sup>، ص 55). كان شيوخ البيزرة في البلدان الإسلامية بأسراها وسيلة ارتزاق جمع كبير من الأهالي، ولم يكن العمل في هذا الحقل مقتصرًا على الطبقات الاجتماعية العليا، على العكس مما كان سائداً في البلدان المسيحية. فقد مارس هذا العمل القرويون والصحراويون بشكل مستمر حتى أوائل القرن الرابع عشر الهجري، وحافظوا على تقاليده. لذلك من السهل تقويم أهمية دور طيور الصيد في الحياة الاقتصادية للمسلمين، لا سيما في القرون الهجرية الأولى، لما تولّد عنها من نشاط تجاري، وأعداد الأشخاص الذين تتطلبهم تربيتها والاعتناء بها (أسعد طلس، ص 271-301؛ الجاحظ، 1353هـ / 1935م، ص 34-35؛ ترجمة شارل بلا<sup>2</sup>، ص 160-161).

في الواقع، لم يكن رئيس مؤسسة البيزرة نفسه بيزاراً بالمعنى الحرفي للكلمة، وإنما كان فقط في أثناء الصيد يرتدي "البهلة" في يديه (بالفارسية والعربية: "دستبان"، في المغرب: "القفاز"). كان يوكل مراقبة "بيت الطيور" إلى "غلمانه"، الذين كانوا يتولّون فضلاً عن ذلك إعداد السحمام والطيور الأخرى لتغذية البرأة وتدربيها. كان فن تعليم الطيور وتدربيها، يتطلب أيضًا، بحسب نوع طيور الصيد، أن يكون البيزار (جمعها بيازرة)، أو "الصقار" ذات كفاءة عالية (حول تفضيل لفظة بازيار = بيزار على بياز ← الأكفاني)، ص 92؛ كانت الألفاظ: بياز، وبياز، وباز، وبزار، وبزارى بالمعنى العام للكلمة الفارسية "بازدار" جزءاً من الألفاظ المغربية- الأندلسية، تحمل محتواها في معظم الأحيان لفظة طيار. كان البيزار وكذلك الصقار يستعينان بـ "الكلابي/ الكلابادي" (المُسؤول عن كلاب الصيد)، الذي يُطلق كلابه السلوقيّة في إثرب الغزال أو الأرنب، في الوقت الذي يكون فيه البازي أو الصقر أحياناً وحتى العقاب مترصّداً و "حائماً" في الجو، يتقدّم الطيّار بمجموعة الكلاب، ويسمّل عينيّ الطريدة ويوقفها ← (الشكل 82).

التصنيف التقليدي لطيور الصيد الممكن تدجينها ("الضراءة" و "الضراءة") في الشرق على أساس عيونها ذات البؤبؤ الأسود أو الأصفر، يدل على دقة النظر، ومطابق كلياً لتصنيف علم الطيور الجديد. في الواقع، الطيور "السوداء العيون" لا ثُرى إلا في فصيلة الشواهين<sup>3</sup>، السوداء البؤبؤ، وهي طيور أحنتها طويلة، وتحلق على علو مرتفع وتحتتص بصيد الطيور الملحة عالياً - مثل "البلشون" ، و "الكركي" ، و "الغرنوق" ، و "الغربان" ، و "الحداء" و "طير الماء" ،

<sup>1</sup> - E. Lévi-Provençal

<sup>2</sup> - Charles Pellat

<sup>3</sup> - Falconidae

وحتى العُقاب أحياناً. يقف الباحثون والمحققون في اللغة العربية حيari أمام وفرة الألفاظ والمصطلحات الدالة على الطيور الصيّادة. هذه الوفرة ليست ناتجة عن كثرة أنواع هذه الطيور، وإنما عن تعدد الصفات المستخدمة للدلالة على الألوان التي لا حصر لها لريش هذه الطيور وأجنحتها بحسب الجنس (ذكر أو أنثى)، والسن، والبيئة الطبيعية. كان العرب يقولون باختلاف الأنواع في العائلة الواحدة من الطيور، بحسب كونها فراخاً أو بالغةً، ذكوراً أو إناثاً. مع ذلك بالإمكان، من ناحية، بمساعدة الفهارس العلمية لطيور كل منطقة من المناطق، ومن ناحية أخرى من خلال الاستعانة بأوصاف كبار علماء الطبيعة المسلمين، كالقزويني<sup>١</sup> (600-682هـ) في عجائب المخلوقات، والدميري<sup>٢</sup> (742-802هـ) في حياة الحيوان، وبالأخص المؤلفات المتعلقة بالصَّيد (← تتمة المقالة)، التوصل إلى معرفة اسم جنس الطيور، من بين هذا الكم الهائل من الأسماء، مثلاً: الصَّقار كان يتولى تربية الجموعة التالية من الطيور فقط: أ) السُّنقور<sup>٣</sup> (أو الشُّنقور أو الشُّنقار) الذي لم يكن معروفاً في البلاد الإسلامية، وكان يُستورد من سيبيريا بشمن باهظ، ويُقدم من ضمن المدايا المتداولة والكمالية عند تبادل السفراء؛ ب) الجرغ<sup>٤</sup> (معناه الحالي بالفارسية: بالaban، وبالعربية الصَّقر، صَقر الغزال، الشَّرق")؛ ج) البحري<sup>٥</sup>، أو الشاهين، وأنواعها الفرعية الثلاثة الشرقية؛ د) الرُّرق<sup>٦</sup>، أو الصَّقر الأبيض؛ ه) اليؤيؤ<sup>٧</sup> أو الـجَلَم؛ و) الكوئج<sup>٨</sup>؛ ز) العاصوق<sup>٩</sup>؛ ح) العُويِسِق<sup>٩</sup>؛ ط) اللَّزِيق<sup>٩</sup> (← أمين معلوم؛ نظراً إلى كثرة الأخطاء في هذا الكتاب بسبب اعتماده على آراء منسوخة علمياً، من الضروري توخي الحيطة في الأخذ منه).



متحف الهند الوطني

باز صياد

في مغرب العالم الإسلامي، لم تكن الطيور المحلقة عالياً معروفة ولا مستخدمة ما عدا أربعة طيور: أ) الجرغ= الصقر (باسمه المحلي النُّبلي، أو الـلُّبلي، المأخوذ من اسم مدينة لَبَّلة<sup>١0</sup>

<sup>١</sup> - Falco rusticolus

<sup>2</sup> - Falco cherrug

<sup>3</sup> - Falco Peregrinus

<sup>4</sup> - Elanus caeruleus

<sup>5</sup> - Falco columbarius aesalon

<sup>6</sup> - Falco subbuteo

<sup>7</sup> - Falco tinnunculus

<sup>8</sup> - Falco naumanni

<sup>9</sup> - Falco vespertinus

<sup>10</sup> - Niebla

الأندلسية، التي كان هذا الطائر يُجلب منها على ما يedo؛ ب) اللاجين (بالاسم المحلي البرني<sup>1</sup>، وهو نفسه "الفانت"<sup>2</sup> المتعلق بـ البيازرة النصارى؛ ج) التركلي<sup>3</sup>؛ د) البحري<sup>4</sup> (ليو الأفريقي<sup>5</sup>، ص 166؛ مرسيه<sup>6</sup>، الفصل 5: "البيزرة"، ص 81-106 ومصادره؛ دوما<sup>7</sup>، ص 359-372). نُعت هذه البُزاة الأربعة في المغرب بصفة "السُّحر" (النجيب، الشريف). وأمّا "الصقر العيون" التي كان لا يريها سوى البازيار (البيزاري بالمعنى الأخص) أي "صاحب الطران"، فهي مجموعة كانت مستخدمة للصيد أكثر من غيرها من الأنواع. "الصقر العيون" كلّها طيور قصيرة الأجنحة، مخصصة لصيد الطيور التي تحلق على ارتفاع منخفض. تضم هذه المجموعة بشكل أساسي البواشق<sup>8</sup>، لكن أضيف إليها، في بعض نواحي إيران وآسيا الصغرى، بعض العقبان<sup>9</sup> الصغيرة الحجم.

الطائر الذي حظيَّ منذ القدم، وفي بلاد الشرق بأسراها، برعاية واهتمام أهل الفن أكثر من غيره من طيور الصيد، هو "البازي"<sup>10</sup> نفسه (أو شاهباز = ملك البُزاة). البازي ليس من الطيور المحلية في البلدان العربية، وكان التجار يجلبونه من اليونان وتركستان وإيران والهند. في المملكة المغربية، كان مجھولاً تقريباً، كانوا يظنّون أنَّ هذا "البازي" هو المسبِّب لظهور فن الصيد بالطيور. كان اسمه الفارسي الأصل [باز]، الذي دخل اللغة العربية قبل الإسلام بمدة مديدة، يُطلق، جهلاً على ما يedo، على كل طائر صيد، لذلك فإنَّ مصطلح البيزرة، الذي هو عند أهل الفن "اقتناء البازي" بالمعنى الأخص، كان يستخدم لمفهوم أعم أي الصيد بواسطة الطيور الصيادة (في أوروبا، على العكس، فُضل الشاهين على البازي). كان من الضروري في تعريب الاسم "باز" إيجاد جذر ثلاثة جذور: أ) ب ز و - ب ز ي اشتقتَّ منها باز/البازي وجمعه بُزاة، لذلك اقتُرحت له ثلاثة جذور: أ) ب ز و - ب ز ي اشتقتَّ منها باز وجمعه بُواز أو بيزان؛ ج) وبواز/البوازي، والبُزان؛ ب) ب و ز - ب ي ز، اشتقتَّ منها باز وجمعه بُواز أو بيزان؛ ج) ب ء ز، اشتقتَّ منه بَاز وجمعه - بَازات، أَبْؤُز، بُؤُوز، بَئْزان، بُؤْز، أو بُؤْز -. يأتي بعد البازي الباشقُ (أو القرقي، أو العلام، والطوط)، A.nisus، وكان الجنس المترفع عنه "قصير الأرجل" (بالعربية: البَيْدق)، الذي فُضّل مطاوعته، ولسعة انتشاره؛ تُستخدم أثاثه A. badius brevipes

<sup>1</sup> - Falco biarmicus Barbary lanner falcon

<sup>2</sup> - Alphanet

<sup>3</sup> - Falco peregrinus pelegrinoides, Barbary falcon

<sup>4</sup> - Falco eleonorae, Eleonora's falcon

<sup>5</sup> - Leo Africanus

<sup>6</sup> - L. Mercier

<sup>7</sup> - E. Daumas

<sup>8</sup> - Accipitridae

<sup>9</sup> - Aquilidae

<sup>10</sup> - Accipiter gentilis

(باللغة المحلية: "ساف") حالياً في رأس بونه في تونس لصيد السلوى (← ماتيس<sup>1</sup>، مج 2، رقم 3-4، ص 107-118 مع الصور؛ بوآيه وبلان يول<sup>2</sup>، ص 242-248؛ لافودن<sup>3</sup>، ص 20-21؛ اللطائف، ص 24-27 مع الصور).

أما العقبان فلم تزل أصلًا مرتبة طيور الصيد المدرية ("عتاق الطير"). فالإيرانيون والأترارك على الرغم من بناحهم في تربية الطُّغْرُل<sup>4</sup> والزُّمَج<sup>5</sup>، تغاضوا عن تربية السنقر (بالعربية: الْمُرْزَة، والجمع مُرْزَات<sup>6</sup>) والسقاوة (والجمع سَقَاوِي)<sup>7</sup>، لعدم قابليتها للتعلم، وعن تربية النسور لأنها تأكل الجيف. ارتقى الإيرانيون بفن تربية طيور الصيد إلى حد أنهم استخدمو البوهجة<sup>8</sup> لجذب طيور الصيد الأخرى وإيقاعها في الفخ. "صُفْرُ العيون" هذه كانت كلها مخصصة لصيد الطيور المنخفضة التحليق مثل السُّمَانِيّ (أو السلوى)، والحَجَل، والقَبْج، والطَّيْهُوج، والقطا، والجباري، والرَّعَاد، والدُّرَاج، والعنقود، وغيرها من طائفة السهول والصحاري (الشكل 83).

لم يمر وقت طويلاً حتى صارت القواعد الفنية للبيزرة في المرحلة الإسلامية موضوع مؤلفات عديدة، لم يصلنا معظمها. ذكر ابن النديم في الفهرست حوالي عشرة آثار. من ناحية أخرى هنالك العديد من المخطوطات في المكتبات العامة والخاصة في الشرق وفي أوروبا، لم تتحقق حتى الآن (← بروكلمان، في فصلي "العلوم الطبيعية" و "الصيد"). مع ذلك، نحن نعرف تلك القواعد الفنية جيداً نسبياً من خلال الكتب المعدودة التي صححت ونشرت حتى الآن. لعل أقدم نصوص البيزرة هي تلك التي كانت أساساً ومرجعاً لمؤلفات باللغة اللاتينية المتأخرة<sup>9</sup>، المنسوبة إلى مؤلفين مجهولين، يُدعيان "مؤمن" و "غطريف" (← الطبعة المحققة الممتازة لهذه النصوص التي أنجزها ترنيلد<sup>10</sup>). لحسن الحظ، نشر محمد كُرد علي، العالم السوري، رسالة البيزرة، التي ألفها بيزريُّ الخليفة الفاطمي العزيز بالله (حك: 364-386هـ). عرض مؤلف هذه الرسالة، الذي لم يذكر اسمه، ثمرات تجاربه الطويلة الأمد، وتجارب غيره من "اللعاب" (خبراء البيزرة) من دون مبالغة، وجمع في فصل خاص الشواهد الشعرية المتعلقة بالبيزرة. هذا الكتاب هو الأئفَس بدرجات من كل ما في متناولنا من الآثار العربية المتعلقة

<sup>1</sup> - M. Mathis

<sup>2</sup> - A. Boyer & M. Planiol

<sup>3</sup> - L. Lavauden

<sup>4</sup> - Spizaetus cirrhatus

<sup>5</sup> - Hieraaetus fasciatus & H. pennatus

<sup>6</sup> - Harriers

<sup>7</sup> - Buzzards

<sup>8</sup> - Eagle owl

<sup>9</sup> - Latin-Roman (Latino-roman)

<sup>10</sup> - H. Tjerneld

بأساليب تربية طيور الصيد. تقريرًا، بالتزامن مع كُرد علي، صَحَّحَ أَسْعَدُ طَلَسُ وَنَشَرَ النصّ<sup>١</sup> الأقدم المعروف في هذا الحقل، أي كتاب المَصَایدِ وَالْمَطَارِدِ، تأليف كشاجم\* (المتوفى في العام 350 أو 356هـ)، الشاعر المعروف (بغداد 1373هـ/1954م؛ ← بروكلمان، ص 271-271، مَج 1، ص 85؛ <u>الذيل</u>، مَج 1، ص 137؛ أيضًا ← أَسْعَدُ طَلَسُ، مَج 2، ص 301، مع تحليل لمضمون هذا الكتاب). كتاب الصيد والبيزرة الكامل هذا، كان أحد المراجع التي استفاد منها المؤلفون اللاحقون للآثار المتعلقة بالصيد، أكثر من غيره من المؤلفات. مما يؤسف له، أنَّ اهتمام المؤلف بالمواضيع الأدبية وحبه لها الذي يفوق الحدّ، أفقدا هذا الكتاب فائدته العلمية كلًّا. هنالك فرق كبير بين "أخبار الصيد" لـأُسَامَةَ بْنَ مُنْقِذَ (المتوفى في العام 584هـ) في كتابه الاعتبار (الفصل 3، ص 192-229)، الذي ألفه في حقبة الحروب الصليبية (← درنبورغ<sup>٢</sup>)، وبين معلومات كشاجم، والأول أكثر من الأخير حيويةً وفائدة. بعد طبع كتاب كشاجم، تدنت كثيرًا قيمة كتاب أنس الملا بوحش الفلاء، تأليف محمد المنكليّ، أحد أفالصل عصر المماليك، في العام 772هـ (← بروكلمان، مَج 2، ص 136؛ <u>الذيل</u>، مَج 2، ص 167)، الذي نُشر مع ترجمته الفرنسية غير الجيدة، التي أنجزها فلوريان فاراؤون<sup>٢</sup> (باريس 1880م). تحولت البيزرة كذلك إلى موضوع لمنظومات شعرية تعليمية، مثل قصيدة إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجيّ المغربيّ (المتوفى في العام 920هـ؛ بروكلمان، مَج 2، ص 136)، التي تبلغ مائتين وثلاثة عشر بيتاً، ومنظومة الجَمَهُرَةِ فِي الْبَيْزَرَةِ، لرجل يُدعى عيسى الأزديّ (القرن الرابع الهجريّ؟)، التي يستشهد بها المنكليّ غالباً. على الرّغم من أنَّ مرسيه قد استفاد من هذه الآثار، ومن مخطوطات آثار الفاكهيّ (المتوفى في العام 948هـ) والأشعريّ (المتوفى في العام 848هـ؛ مخطوطات مكتبة باريس الوطنية، رقم 2831، و2834)، من المناسب أنْ تُصحَّحَ هذه المؤلفات وتنشر. لقد صَحَّحَ أَسْعَدُ طَلَسُ الأرجوزة الجميلة فرائد السلوك في مصايد الملوك، لابن ثباته (686-768هـ) حول البيزرة، ونشرها.

د. أ. د. التركية

<sup>1</sup> - Derenbourg

<sup>2</sup> - Florian Pharaon

يُستخلص من هذه النصوص أنَّ أسلوب صيد جميع أنواع طيور الصَّيد وطرق تربيتها كانت ثابتة وغير متغيرة تقريرًا. يؤخذ البازيٌّ من العش وهو صغير (غطريف، غطروف)، قبل أنْ ينبع ريشه، أو حين يصبح (ناهضًا)، أي بمحض أنْ يصبح قادرًا على الطيران، من غصن إلى غصن أو من صخرة إلى صخرة. في مرحلة البلوغ، سواء كان فرخًا، أو "برِّيًّا" أم "بلديًّا"، أم مهاجرًا (قاطعاً أو راجعاً) - يأخذونه بواسطة مصيدةٍ مدهونة بالدِّبْق، أو الشبكة، أو وعاءً مشقلاً، وبشكل خاص "الكومة" (طُعم اصطناعي ذو جناح، يعلق في قدم طائر الصَّيد القليل القيمة، المدرِّب، ثم يُطير هذا الطائر لجذب البازي) (← طريقة الاستفادة من الكومة في ابن مُنْقَد، ص 200-201؛ بلانيول، ص 154-156). حين يُقبض عليه، يبدأون "بتعليمه" (أي تهدِّئته): يخيّطون جفونه، ويلجاؤن إلى تجويعه وتنقيصه، ثم يبدأون تدريجيًّا بفتح جفونه، ويختالون عليه بالتَّلَقِيم (= يعرضون عليه الطعام، ويطعمونه إياه لقمةً لقمةً)، والتَّلَقِيف (إغراه بلحوم الطعوم الحية)، كي يتقدّم ويقف على راحة يد البيزار. حين يُنهي تعلّمه، ويستجيب لنداء البيزار، ويقف على يده يربطونه بطاولة، وحينئذ يبدأ تدرييه على صيد هذه الطريدة أو تلك. ومن ثم يطلقون أمام البازي ذلك النوع من الطيور الذي يريدون أن يكون "طريدة" له (كسيرة)، وهكذا يثرون لديه غريزة أكل اللحم، ويصلّون ذكاءه (فراسته) لـ "القبض" على ذلك الطعام الخاص. تكرر هذه التمارين بجهلٍ وصبر، وفي كلّ مرّة تطوى المسافة الفاصلة بين الطائرين. حين يرون أنَّ البازي "مستَوٍ للإرسال" (أي حين يكف عن الخوف، ولا يعود بحاجة لأنْ يُقيَّد)، يجهّزونه بسباقين وبالأجراس، وبالخلالخِل، ويعودونه على وضع القبعة (البرقع، الْكُمَّة؛ في المغرب: الكنبيل)، أو ارتداء "القباء"، ويبدأون بتدررييه ليصبح "أنيساً"، أي يتحوّلون به لساعات وساعات في الحواري والأسواق، ليتعاد على الناس وعلى ضجيجهم. حين يأنس إلى الناس والخيل والكلاب وغيرها من الحيوانات الأليفة، يأخذونه إلى المصيد "ليصطاد طلقاً" الطيور المائية، أو الطيور من فصيلة الغربان. حينئذ يعود بمرافقه قرع الطبل (الطبّيل)، المعلق دائمًا بلحام فرس البيزار (← مرسيه، ص 98)، ويجهّزونه بأكل أحد الطيور التي اصطادها. في مغرب العالم الإسلامي، لم تصل على الإطلاق تربية طيور الصَّيد إلى هذه الدرجة من الإتقان والظرافة. يعني أنَّهم كانوا يقدّمون إلى الطير الذي يأخذونه دائمًا وهو في مرحلة البلوغ، تعليمًا مختصراً، ويطلقونه في الخريف (← م. ن، ص 96-104).

حين يريدون إراحة الطائر، يضعونه للتشريح، فوق أريكة (حمولة، قُفّاز) أو "كَنْدِرَة" (عارضة)، في الشمس بجانب طست ماء، أو حوض صغير. في مرحلة القرْنَصَة أو التُّكْرِيز، يضعونه في الظلمة، بعيداً من أي صوت، ويتفحّضون ذَرْقَه، (أو رَبْجَه) بدقة، للاطمئنان على صِحَّة بدنها. في رسائل البَيْزَرَة، خُصّصت فصول طويلة لتشخيص الأمراض الخاصة بالبُلْزَاة، وطرق علاجها. فنَّ المداواة هذا، في معظم الحالات طبٌ تجَرييٌّ بدائيٌّ جدًّا، مختلط بالخرافات حول الوقاية من الأمراض.

منذ عهد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ طُرحت في الشريعة الإسلامية قضيَّة حلَّية أو جواز أكل لحم الحيوان الذي يتمُّ صيده بواسطة طيور الصَّيْد. كانت المسألة المطروحة، هل يجب أنْ تُذبح هذه الطريدة وفق التعاليم الدينية أم لا. عرض ابن رشد في بداية المُجتهد<sup>1</sup> (← ابن رُشد، "كتاب الصَّيْد"، المستلٌ من البداية، النص والترجمة الفرنسية مع شرح فيره<sup>1</sup>، رقم 3-4، ص 228-259) شرحاً واضحاً للآراء المختلفة التي قدّمتها الفقهاء ومذاهب أهل السنة الفقهية. تُطرح هذه المسألة أيضاً في مقدمة جميع كتب البَيْزَرَة والصَّيْد.

/ف- فيرة (د. الإسلامية)/

**تكملة 1** [بناء على المعلومات التي قدّمتها ابن رشد (مج 1، ص 627-629) وأخرون (منهم ← ابن قُدَامَة، مج 8، ص 545)، هنالك خلاف بين الفقهاء حول هذه المسألة: هل صيد جميع الحيوانات والطيور كصيد الكلب المُعْلَم أم لا؟] أفتى معظم الفقهاء بصِحَّة الصَّيْد بواسطة الحيوانات والطيور المُعْلَمَة، البعض حصر ذلك بكلب الصَّيْد، وعدد محدود استثنى البازيّ. يرى ابن رشد أنَّ مصدرَ خلافهم أمران، ناجمان كلاهما عن كيفية الاستنباط من الآية 4 من سورة المائدة؛ وكما ذكر ابن رشد وابن قدامة، إنَّ الذين حصروا حلَّية الصَّيْد ببازيّ الصَّيْد، يستندون إلى حديث مرويٌّ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ورد فيه، أنَّ من الجائز أكل الصَّيْد إن احتفظ به البازي لصاحبه. بناء على روایات وردت في المصادر الحديثية الإمامية، يجوز أكل ما يصطاده البازي وأمثاله (من الجملة ← الحر العاملية، مج 16، ص 223)، لكنْ نُقلت أحاديث عن أئمَّة الشيعة عليهم السلام، عدَّت جواز أكل لحم هذا النوع من الصَّيْد مشروط بتذكيره (م. ن، ص 219-223). بناء على هذه الأحاديث، ما من حيوان سواء كان البازي أو الفهد، حتى وإن

<sup>1</sup> - F. Virè

كان مُعلِّماً، كالكلب، ليكون بالإمكان أكلُ صيده؛ لكنَّ هذا الصيد حلال فقط إنْ كان حيًّا، وذكَّرَ بيد الإنسان. أُشير في بعض هذه الروايات إلى الآية القرآنية نفسها، ولفظة "مُكَلَّبين". أفتى فقهاء الإمامية على أساس روايات المجموعة الثانية، وكما قال النجفي (مج 36، ص 10)، ما من أحد أفتى بجواز أكل صيد طيور كالبازي. اعترض الفقهاء على أساس القواعد الخاصة بتعارض الأدلة، وطرق ترجيح أحدها على الآخر، على روايات المجموعة الأولى؛ لا سيَّما وقد صرَّح في إحدى هذه الروايات أنَّ الحكم بحلَّية أكل لحم الصَّيد الذي يصطاده البازي، قد صدر في العصر الأموي من باب التقيَّة (← مبحث "الصَّيد والذبائح"، في الكتب الفقهية الشيعية المختلفة، من بينها: الشيخ الطوسي، مج 6، ص 256-257؛ المحقق الحلي، مج 3، ص 199؛ الشهيد الثاني، مج 7، ص 196؛ النجفي، مج 36، ص 8-11).

**المصادر والمراجع:** ابن رُشد، بداية المجتهد ونهاية المقتضى، مصر 1402هـ؛ ابن قُدامة، المغنى، لبنان؛ محمد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة، ط. عبد الرحيم رباني؛ زين الدين بن علي الشهيد الثاني، الروضة البهية، بيروت 1403هـ/1982م؛ محمد بن الحسن الطوسي، المبسوط، طهران [1387هـ/1967م]؛ جعفر بن حسن المحقق الحلي، شريعة الإسلام، النحو 1389هـ/1969م؛ محمد حسن بن باقر النجفي، جوهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، بيروت 1401هـ/1981م.

/مسعود الحائرى (فريق الفقه)/

من ناحية أخرى ألمت البيزَّرة الشعراء، وابتداءً من العصر الأموي وما تلاه، صارت كصَيد الفرسان بواسطة كلام الصَّيد، من المضامين الأساسية في الأشعار المربَحة على بحر الرَّجز. وسرعان ما أصبحت الأرجوزة، القالب الأرق والأكثر طوعية وحيوية من القصيدة التقليدية الجامدة والجافة، قالبًا نموذجيًّا للطريديات\* (الطريدية)، التي نظمها الشعراء كالشِّمَّاخ\* (المتوفى في العام 22هـ)، والعجاج\* (المتوفى في العام 89هـ)، وابنه رؤبة\* (المتوفى في العام 145هـ)، وعدد آخر من الشعراء. هذا النوع من الشعر الذي شاع كثيرًا في العصر العباسى، استساغه شعراء كبار كأبي نواس وابن السُّمعَّن وكشاجم والناثى، ونظموا فيه. لقد وجدوا في طريدياتهم "الفرصة لإظهار مقدرتهم" في البحث عن الألفاظ الغريبة واستخدامها، ومصطلحات البيازرة والصيادين النادرة (بلا، 1371هـ/1952م، ص 108-109)، حول "الطريديات" ← نفسه، 1372هـ/1953م، ص 160 وما بعدها، وتعليقها. يمكن

العثور على الطرديّات في دواوين الشعراء؛ معظم طرديّات أبي نواس نقلها الجاحظ في كتاب الحيوان). مما يؤسف له أنَّ هذا التظاهر والتزيّد أدى إلى أنَّ كُلَّ الذين أعجبوا بالطرديّات، استخدمو لغةً لا شبه بينها وبين اللغة التي كان يستخدمها محبُّ الْبَيْزَرَة. في الأندلس، لا سيّما منذ القرن الخامس الهجريّ وما بعده، استخدم الشعراء موضوع الصيد بالطيور الذي لم يكن منفصلاً عن ذائقه جبهم للطبيعة، واستطاعوا، أنْ يُضفوا عليه ألوانًا من مشاعرهم الرقيقة، لا بحدتها في آثار الشعراء الشرقيّين (→ بِرِس<sup>1</sup>، ص 346 - 349). إلى جانب هذه الآثار ذات الصبغة العلميّة والأدبيّة، هنالك أشعار موضوعها الْبَيْزَرَة باللهجات المتنوّعة، التي ظلت سارية لدى القبائل العربيّة الكبرى، وحُفظت. العجيب، أنَّ قبيلة الطوارق<sup>\*</sup> لم تعرّف الْبَيْزَرَة على الإطلاق (→ لُت<sup>2</sup>). لقد حرّمنا الكره الشديد الذي أبداه جامعو منتخبات الشعر العربيّ، للغة "الدارجة" (العاميّة) من هذه "الأغاني" البدويّة، التي كانت شائعة حتّى وقت قريب في أقصى صحراء شماليّ إفريقيا. يلاحظ نوع من الوصف الواقعيّ في الأشعار التي وصفت الطائر والصيّد به، ووصف طرائفه، من الصعب العثور على نظير له في الشعر العربيّ الرسميّ (الكلاسيكيّ) (→ سيدون<sup>3</sup>، رقم 270 - 271، ص 272 - 294).

النصيب الأكبر الذي يحتلّه موضوع طيور الصيّد في الآثار الفنّية في البلاد الإسلاميّة، يستحقّ تحقيقاً أوسع وأشمل. في وسائل التعبير الفنّي - الرسم (المتممات)، وأعمال الحفر على الحجارة والجصّ والخشب والجاج، والحرف على البُلُور والزجاج والنحاس، والتطعيم بالبرونز والزجاج والمعادن الشمينة، والزخرفة بالقاشانيّ والفالخار، وحياكة الحرير وأعمال الإبرة، والتطریز بالخيوط الحريريّة - قسم كبير من الآثار القيمة مضمونها طيور الصيّد. هذا المضمون بتعبيراته التي لا تُحصى هو أحد المضامين، التي أضفت على الفنّ الإسلاميّ، في البلاد الشرقيّة والغربيّة من العالم الإسلاميّ، الكثير من خصائصه (→ بوب<sup>4</sup>؛ ميجون<sup>5</sup>؛ كشنل وميجون<sup>6</sup>؛ مارسيه<sup>7</sup>). لقد استُخدم هذا المضمون أيضاً في تخطيط شعارات المالك وآوسمتهم الرسميّة (→ مير<sup>8</sup>؛ أرتين باشا<sup>9</sup>).

<sup>1</sup> - H. Pérès

<sup>2</sup> - H. Lhote

<sup>3</sup> - M. Sidoun

<sup>4</sup> - A. U. Pope

<sup>5</sup> - G. Migeon

<sup>6</sup> - R. Koechlin and G. Migeon

<sup>7</sup> - G. Marçais

<sup>8</sup> - L. A. Mayer

<sup>9</sup> - Artin Pacha

**المصادر والمراجع:** ابن سيده، المخصوص، الإسكندرية 1904م / 1321هـ؛ مج 8؛ الفهارس محمد طالبي، تونس 1956م؛ ابن منقد، كتاب الاعتبار، ط. P. Hitti. برنيستون 1348هـ / 1930م؛ ابن النديم، الفهرست؛ عيسى الأزدي، الجمهرة في البيزَّة، مخطوطه الأسكندرية، رقم 903؛ ابن سعيد الأكفاني، إرشاد المقاصد؛ البيزَّة، ط. محمد كرد علي، دمشق 1372هـ / 1953م؛ عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب التبصر بالتجارة، ط. حسن حسني عبد الوهاب، القاهرة 1353هـ / 1935م؛ نفسه، كتاب الحيوان، القاهرة 1366هـ / 1947م؛ الدميري، حياة الحيوان الكبرى، القاهرة 1366هـ / 1947م؛ محمد أسعد طلس، "الحياة الاجتماعية في القرنين الثاني والثالث الهجريين"، مجلة الجمع العرقيّ، مج 2 (1371هـ / 1952م)؛ زكريا بن محمد القزويني، عجائب المخلوقات؛ أحمد بن علي القلقشندى، صبح الأعشى، القاهرة 1331هـ / 1913م، مج 2؛ كشاجم، كتاب المصايد والمطارد، ط. أسعد طلس، بغداد 1373هـ / 1954؛ اللطائف، تونس (رمضان 1374هـ / أيار-مايو 1955م)؛ المسعودي، مروج الذهب؛ أمين معلوف، معجم الحيوان، القاهرة 1350هـ / 1932م؛ محمد المنكلي، أنس الملا بوحش الفلا، مع ترجمة فلوريان فاراؤون، باريس 1400هـ / 1880م؛

أجنبي...

/ف- فيرة (د. الإسلامية)